﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٧﴾ [الأحقاف: 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

استكمالُ الاعتبارِ، بما جرى للمكذِّبين من هلاك الدّار

لمّا أخبرتِ الآيات السّابقة بقصَّة عاد، وما وقع لهم من الهلاك على ما كانوا عليه من المكنة والقوَّة؛ أتبع ذلك ببيان أنَّ مَن كان مشاركًا لهم في التَّكذيب؛ فقد شاركهم في الهلاك، فإنَّ مثل قوم عاد ليس وحيدًا في بابه، فقد أهلك الله ما جاور مكَّة من القرى الَّتي يعرفونها، وسمعوا عنها، وهي قرى ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وسبأ وقوم تبَّع[1]، فناسب ذكر بقيَّة المكذِّبين من باب استكمال الاعتبارِ، بما جرى للمكذِّبين من هلاك الدّار.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَصَرَّفْنَا﴾: (صرف) أصلٌ يدلُّ على رَجْعِ الشَّيءِ[2]، والصَّرْفُ: ردُّ الشَّيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره، والتَّصريفُ صرف الشَّيء من حالة إلى حالة، ومن أمر إلى أمر[3]، وتصريف الرِّياحِ: تَصَرُّفُها من وجْهٍ إلى وجهٍ، وحالٍ إلى حال، وكذلك تصريف الخُيول والسُّيول والأمور[4]، وتصريفُ الآيات تَبْيينُها[5]، وهو الإتيانُ بها من جهات: من إعذار وإنذار وترغيب وترهيب ونحو ذلك[6]، والمرادُ به في الآية الكريمة تكريرُ الآيات وتبيينها[7].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 174، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 54.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صرف).
(3) الراغب، المفردات: (صرف).
(4) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللغة: (صرف).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (صرف).
(6) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (صرف).
(7) النيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 124.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تحذيرُ المشركين من مصير أهل القرى

يقول اللّه تعالى منبِّهًا أهلَ مكَّة أنَّنا قد أهلكنا ما حولكم من القرى الَّتي تعرفون أخبارها، كعاد وثمود لوط وتبَّع وأصحاب الأيكة وغيرهم، فجعلنا ديارهم خاوية على عروشها، وقد بيَّنّا لهم الحقَّ بأنواع الحجج والدَّلالات؛ لكي يرجعوا عن الشِّرك والكفر باللّه إلى توحيده وعبادته[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

نوعُ الواو ودلالتها:

العطفُ ناطقٌ بالسُّنَّيَّة العادلة في الأمم

عطف النَّظم الجليل الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ على الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾، فلمّا حكى النَّظم قصَّة هود مع قومه وتكذيبهم له وما نالوه من الجزاء؛ أتبعه بأنَّ ذلك قد جرى في كثير من الأقوام، ومنهم أقوامٌ مجاورونَ لأهل مكَّة، كثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وسبأ وقوم تُبَّع[2].

دلالةُ التَّعبير بـ(لقد):

تحقُّقُ الإهلاك لعظيم القدرة وكمال الإحاطة

عبَّر النَّظم الجليل بـ(اللّام وقد) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ للدَّلالة على تأكيد الخبر، والمراد منه الإشارة إلى عظيم القدرة، وتمام الإحاطة بالكافرين، وذلك ليتَّعظ بهم من يسمع خبرهم المؤكَّد[3]، وليكون العطفُ بالتَّوكيد من باب توكيد ذِكر الكلِّ بعد توكيد ذِكر أحد أفراده؛ إمعانًا في بيان الحقِّ، وتثبيت الواقع.

(1) جماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 505.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 54.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 174.

بلاغةُ استعمالِ لفظ ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾ دون (دمرنا):

عطفُ عموم الإهلاك بعد ذكر خصوصِ التَّدمير

عبَّر النَّظم الجليل بمفردةِ الإهلاك في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ دون التَّدمير - كما تقدَّم ذكره - وذلك للدَّلالة على العذاب، وأصله السُّقوطُ، ولِذلكَ يُقالُ لِلمَيِّتِ: هَلَكَ[1]، ويُقال للعذاب: الهَلاكُ[2]، فعبَّر به؛ للدَّلالة على تعذيبهم، أمّا التَّدمير؛ فهو إدخال الهلاك على الشَّيء[3]، فالتَّعبيرُ بالهلاك تصريح باستئصالهم[4]، فكان ذِكر الإهلاك للقرى بعد التَّدمير لخصوص قوم عادٍ، من باب ذِكر العامِّ بعد الخاصِّ، أي: ذكر عموم الإهلاك للقرى، بعد ذكر خصوص تدمير قوم عاد.

نكتةُ إسنادِ فعل ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾ إلى ضمير العظمة:

صدرُ الإهلاك عن عظيم القدرة الإلهيَّة

أسند النَّظمُ الجليل فعلَ الإهلاك إلى نون التَّعظيم في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ﴾؛ للدَّلالة على قوَّة الإهلاك، أي: أهلكناهم بما لنا من كمال القدرة وشمول الإحاطة[5]، ففيه مزيد تبكيتٍ لهؤلاء القرى، أن يتولّى إهلاكهم العظيم سبحانه، مع ما فيه من التَّعريض بمن يغترُّ برحمة الله تعالى.

نوع ﴿مَا﴾ ودلالة استعمالها:

عمَّ الهلاك كلَّ مكان ظهر فيه الكفر والإشراك

عبَّر النَّظم الجليل بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ﴾؛ لدلالته على العموم والشُّمول، فهو مفعول به لفعل الإهلاك[6]، وعبَّر عنه بذلك لما في ﴿مَا﴾ من الإبهام الَّذي يدلُّ على تعظيم قصص تلك القرى وما وقع لأهلها.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هلك).
(2) الراغب، المفردات: (هلك).
(3) الراغب، المفردات: (دمر).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 54.
(5) الخطيب، السراج المنير: 4/ 16.
(6) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 85.

دلالةُ الظَّرف (حول) وإضافته:

قربُ المكانِ أدعى للاتِّعاظ

استعمل النَّظم الجليل الظَّرف (حول) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ﴾؛ للدَّلالة على الإحاطة، فهو ظرف مكان يعبِّر عن المنطقة المحيطة بجوانب الشَّيء واتِّجاهاته[1]، وأضافه إلى ضمير المخاطَب، والمراد به أهل مكَّة، أي: ما حولكم وبجانبكم من القرى يا أهل مكَّة، كحِجر ثمود وعاد وغيرهم ممَّن فيهم معتبر[2]، واستعمالُ الظَّرف (حول) يومئ إلى قربِ موقع إهلاك المتقدِّمين، ففيه تلويحٌ بقربِه لمن بعدهم.

نوع ﴿مِّنَ﴾ ومعناها:

عبَّر النَّظم الجليل بحرف الجرِّ ﴿مِّنَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ﴾، وهي هنا بيانيَّة، فهي تبيِّن جنس ما حولهم، وهو القرى.

نكتةُ تعريف ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾:

عرَّف النَّظم الجليل القرى بالألف واللّام في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ﴾، وهي هنا للعهد الذِّهنيِّ؛ إذ المراد بها القرى الَّتي أهلكها الله تعالى، وهم يعرفون أحاديثها، وهي عاد وثمود ولوط وغيرهم بالشّام والحجاز واليمن[3].

بلاغةُ ذِكر ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾ دون (الأمم):

العـذابُ يأتي أهـلَ القـرى، وهم في أماكنهم جاثمون

وقد ذكرهم بصفةِ القرى دون الأمم لبيانِ اجتماعهم في مكانٍ واحد، فإنَّ القرية هي الَّتي تجمع سكّانها في بقعة واحدة، ففيه بيانٌ بأنَّ مجيءَ العذاب يكون لمكان الظّالمين.

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (حول).
(2) الخطيب، السراج المنير: 4/ 16.
(3) النيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 124.

دلالةُ عطفِ فعل التَّصريف على الإهلاك:

حكمُ الله في عبادِه قاهرٌ لعبادِه، باهرٌ في آثاره

عطف النَّظمُ الجليل فعل ﴿وَصَرَّفْنَا﴾ على فعل الإهلاك في قولهِ جلَّ شأنه: ﴿أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾، فلمّا أخبر عن إهلاكهم مقدَّمًا، عطف عليه ما يقيم الحجَّة عليهم، وأنَّ إهلاكهم وقع بعد ظهور الآيات وتنويعها وتكريرها[1]، وذلك ليعلم النّاس أنَّ الله أقام الحجَّة على عبادِه قبل الإهلاك.

نكتةُ إسنادِ فعل التَّصريف إلى ضمير العظمة:

نعمةُ تنويع الآيات جليلة عظيمة

أسند النَّظم الجليل فعل التَّصريف إلى نون التَّعظيم في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ ذلك وقع بما لله تعالى من عظمة، فهو تصريف شريف جليل، يراد منه البيان والتَّكرير، فيُفهم من التَّعظيم أنَّ تلك نعمة جليلة، حفَّتها عظمة الله تعالى.

نكتةُ جمعِ لفظ ﴿ٱلْآيَٰتِ﴾، ومعنى التعريف فيها:

كثرةُ الآياتِ قوَّةٌ في الاحتجاجِ وبراعةٌ في الإقناع

عبَّر النَّظم الجليل عن الآيات بصيغة الجمع في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ للدَّلالة على كثرتها، والتَّصريف يقتضي الكثرة؛ لأنَّ التَّكرير مظنَّة التَّكثير، أي: "ولقد كرَّرنا، وبيَّنا لهم قبل إهلاكهم الآيات الَّتي يعتبر بها بتكرير ذكرها، وإعادة أقاصيص الأمم الخالية بتكذيبها وشركها"[2]، والإخبارُ عن كثرة الآيات يُراد منه قيامُ الحجَّة على المهلَكين، فإنَّ مَن لم يفهم مدلولَ آيةٍ؛ فَهِمَ أخرى، ومن فاتته العِبرة من إحداهنَّ؛ أصابته أختها، وبذا أفاد تعريف لفظ ﴿ٱلْآيَٰتِ﴾ بـ(أل) الجنسيَّة الاستغراقيَّة؛ لتشمل آيات الله المسطورة والمنظورة؛ فهذا التَّنوُّع دليل قوَّة البسطِ، وبراعة العطاء.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 174 - 175.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 73.

بلاغةُ استعمال أداة (لعلّ):

عبَّر النَّظم الجليل بأداة التَّرجّي (لعلَّ) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وهي هنا مستعملة للتَّعليل، أي: "لكي يرجعوا عمّا هُم فيه من الكفر والمعاصي"[1].

بلاغةُ التَّعبير بفعل الرُّجوع مضارعًا:

الإقلاع عن الشِّرك ونبذ الكفر غاية لتصريف الآيات

عبَّر النَّظم الجليل بفعل الرُّجوع في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ المراد من تصريف الآيات للأمم إقلاعهم عن الشِّرك والعناد[2]، وجاء التَّعبير بالفعل المضارع؛ للدَّلالة على أنَّ من إقلاعهم أن يكون دائمًا مستمرًّا.

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

الإهلاك والتَّدمير:

الهلاك والتدمير هو الفساد وإعدام الشَّيء، والتَّدمير دخول الهلاك لمكان ما

الهلاك يَدلُّ عَلى كَسْرٍ وسُقوطٍ، ولِذَلِكَ يُقالُ لِلمَيِّتِ: هَلَكَ[3]، والهلاك بطلان الشَّيء من العالم وعدمه رأسًا، ويُقال للعذاب والخوف والفقر: الهَلاكُ، ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا﴾ [الأعراف: 4]، وهَلاك الشَّيء باستحالة وفساد كقوله: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البقرة: 205][4]، أمّا التَّدمير؛ فهو يَدُلُّ عَلى الدُّخولِ في البَيتِ وغيرِهِ[5]، أي: إدخال الهلاك على الشَّيء[6]، وعبَّر في الآية الكريمة بالهلاك؛ لأنَّه أراد إزالة تلك القرى وإفناء وجودها.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 87.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 55.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هلك).
(4) الراغب، المفردات: (هلك).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دمر).
(6) الراغب، المفردات: (دمر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"